مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2023، 23(2): 279–295
DOI: 10.31456/beytulmakdis.1198179

الأسلوب المنهجي عند الدكتور عبد العزيز الخياط في تفنيد المزاعم اليهودية من خلال كتابه "اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس"

محمد كامل قره بللي*

ملخص: تقوم فكرة الوجود اليهودي بفلسطين وبيت المقدس على وجه الخصوص عند اليهود على أساس زعمهم بالأحقية التاريخية لذلك الوجود، وسلكوا في سبيل ذلك كل أنواع التجنّي، بدءًا من التدليس في الحقائق التاريخية، وانتهاءً بسلوك المنهج الميكافيلي (المصلحي) في سبيل تحقيق ذلك الادِّعاء الفاسد، الذي قام على ردِّه وبيان فسادِه عددٌ من الباحثين والكُتّاب المعاصرين. وكان مِن أبرز مَن كَتب في هذا المجال الدكتور عبد العزيز الخياط في كتاب له بعنوان "اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس". و لم يسلك الخياط في بحثه الأسلوب العاطفي الذي يخدش في صحة المعلومة التاريخية، ويُضعف من طريقة عرضها. وقد بنى كتابه رحمه الله على أُسسٍ علمية متينة، أهمها اعتماد دلالات النصوص الشرعية الثابتة، ثم الاعتماد على القرائن التاريخية والأثرية للبرهان على صحة ما يستنبطه من المعاني المعقولة من تلك النصوص، كما اعتمد في الرد على كذب اليهود على أسلوب الاحتجاج عليهم بما جاء في التوراة نفسها من معلومات لا يمكنهم إنكارها، واعتمد أيضًا أسلوب الرد بتناقض أقوال حاخاماتهم وكبرائهم وأهل المعرفة بالآثار منهم، ثم من خلال تقريرات علماء وباحثين وكُتّاب غربيين، يقرؤون مزاعم اليهود بعين الناقد الحيادي، بحيث شكلت الأساليب بمجموعها ردًّا مَنهجيًا مُحكمًا، لا يَسَعُ إنكارُه بحالٍ، ويأنَسُ القلب إلى صحته ومعقوليّته.

الكلمات المفتاحية: المنهجية، الخياط، تفنيد، اليهود، بيت المقدس، الأقصى.

The Methodological approach of Abdul Aziz al-Khayat in refuting Jewish claims regarding the historical entitlement in Bayt al-Maqdis

ABSTRACT: *The idea of the Jewish presence in Palestine and Bayt al-Maqdis in particular is based on the Jewish claim of historical entitlement, and they applied all kinds of deceitful tactics, starting with manipulating historical facts and ending with Machiavellian behaviour methods in order to achieve their fallacious claims and construct some sort of legitimacy. A number of contemporary researchers and writers responded to these claims and demonstrated it erroneous. One of the most prominent writers in this field was Dr. Abdul Aziz al-Khayat in his book entitled "The Jews and their Myths about their Prophets and al--Quds". In his research, al-Khayat did not use emotional language that undermines the authenticity of historical information, and weakens the way it is presented. His book was put together on solid scholarly foundations, the most important of which is the adoption of the connotations of the established religious scripture, and then the*

* أستاذ مشارك في علم الحديث، جامعة ماردين أرتقلو، ماردين/ تركيا. m.kamel79@gmail.com

reliance on historical and archaeological evidence to prove the validity of what he derives from the reasonable meanings of those sacred texts. He also relied in responding to these fabrications on the method of cross-referencing information with the Torah itself, which Jews could not deny. He also adopted the method of responding to contradiction in the sayings of Jewish rabbis, scholars and archaeologists. Then, through works of Western scholars, researchers, and writers, who have critically discussed the allegations of the Jews. Thus, his methodology as a whole formed a systematic and precise response, which one cannot deny, and one can accept with ease with its validity and reasonableness.

KEYWORDS: *Methodology, al-Khayat, Refutation, Jews, Bayt al-Maqdis, al-Aqsa.*

مقدّمة

قضية الرد على المزاعم اليهودية والصهيونية بالدلائل النقلية والعقلية والمنطقية تعتبر من أهم البحوث التي يُحتاج إليها في دراسات بيت المقدس، ولا سيما وأن الدراسات السابقة في مجملها قد ركزت على الرد من الجانب التاريخي والأثري، مع عدم استيفائها الأساليب الأخرى التي لا تقل أهمية عن هذين الجانبين. ومشكلة هذا البحث تتمثل في أن معظم الذين تناولوا موضوع تفنيد مزاعم اليهود كانوا يعتمدون على ردود ذات طابع نقلي وحسب، فكانت الحاجة ماسَّة لرأي رجلٍ ذي صلة بموضوع ببيت المقدس، مُواكبٍ للأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة، مُطَّلِعٍ على أقوال أهل المعرفة والآثار الداحضة لتلك المزاعم، فكان الشيخ الخياط بهذه المنزلة، ووقفنا له على كتاب بهذا الصدد، فأردنا بيان الطريقة التي تعامل بها مع تلك المزاعم.

بادئ بدء يحسن بنا أن نقدم في هذا الصدد بتعريف موجز عن الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخياط رحمه الله، فاسمه عبد العزيز بن عزت مصطفى الخياط، ولد في مدينة نابلس عام 1924م، ونشأ في أسرة علمية متدينة، وكان عمه وجده من أهل العلم والفتوى، وقد حصل الشيخ الخياط على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر عام 1969. شارك في تأسيس كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، وتولى عمادتها منذ تأسيسها وحتى سنة 1973. وتولَّى وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية خمس مرات، وكان محمود السيرة طيب الذكر في مسيرته، له جهد مبارك في تعليم وتربية الأجيال، وقد تولَّى مجموعة وظائف علمية وسياسية قَدّم فيها الخدمات الكثيرة، وكان يتمتع بفكر نيّر طموح دائمًا، لا يرتضي التقليد، بل يُعمِل فكره للتطوير والتجديد.

وقد عايش رحمه الله القضية الفلسطينية منذ بدايتها داعيةً ومجاهدًا، وشارك في نشر الوعي الديني والوطني، وتطوع في قوات المجاهدين بفلسطين سنة 1948، وعمل ضابط ارتباط في حرب فلسطين، وتولى عضوية اللجنة القومية أثناءها. ولم تزل قضية القدس وفلسطين حاضرة في قلبه ووجدانه رحمه

الله، وخير دليل على ذلك رسالته هذه التي سأتناول من خلالها أسلوبه المنهجي في رده على مَزاعِم يهود في أحقيتهم في استيطان فلسطين وبيت المقدس.

وكان له آثار علمية مفيدة في المجالات المختلفة، انتفع بها الكثيرون، من أهمها: "الزكاة والضمان الاجتماعي"، و"النظام السياسي في الإسلام"، و"المجتمع المتكامل في ظل الإسلام"، و"حكم العقم في الإسلام"، و"مناهج الفقهاء" و"شروط الاجتهاد"، و"حقوق الإنسان والتمييز العنصري في نظر الإسلام"، وكتابنا هذا موضوع الدراسة والبحث؛ "اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس". وبعد سنوات حافلة بالعطاء العلمي والسياسي المتميز للدكتور الخياط وافته المنية في عمان، بتاريخ 2011/11/22م، الموافق 1432/12/26هـ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.[1]

وكان *سبب اختياري للكتابة في هذا الموضوع* هو إبراز الجانب المعرفي عند الدكتور عبد العزيز الخياط في التعامل مع الدعاوى والمزاعم الكاذبة التي يدعيها اليهود الصهاينة، بحكم معايشته للقضية الفلسطينية من أولها من جهة، ثم بحكم كونه في مقام متابعة شؤون بيت المقدس والمسجد الأقصى لكونه كان وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية في الأردن التي كان لها وصاية دينية على المسجد الأقصى، حيث إن الدراسات المعاصرة لم تركز على هذا الجانب لدى الدكتور الخياط رحمه الله.

وقد قسمتُ بحثي هذا إلى مبحثين وخاتمة: المبحث الأول: تحدثت فيه عن المقدمات التمهيدية التي مهد بها الدكتور الخياط في الرد الإجمالي على أكاذيب اليهود ومزاعمهم وبيان جذورها التاريخية، والمصادر التي تسربت إليها تلك النقول عن كتب اليهود القديمة، وهو ما عُرف بعدُ باسم الإسرائيليات. المبحث الثاني: تحدثت فيه عن الأساليب التفصيلية التي استعملها الدكتور الخياط في الرد على المزاعم والدعاوى اليهودية. وقد سلكت في بحثي هذا *المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي والتحليلي*، من خلال استنباط الأساليب التي استعملها الدكتور الخياط، بعد قراءة واعية لردوده، ثم تحليل ما ورد في تلك الردود، وكيف قام بتوجيهها. مع مناقشة لبعض ما قرره من نتائج وتقريرات ثم الخاتمة التي لخصت فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث.

المبحث الأول: الردود الإجمالية للدكتور الخياط على أكاذيب اليهود ومزاعمهم، والجذور التاريخية لتلك المزاعم والأكاذيب

قدم الخياط بمقدمة تمهيدية يدحض فيها افتراءات اليهود حول الأنبياء، مما دسوه في توراتهم والتلمود، ولا سيما ما راج على عدد من المفسرين فأدرجوه ضمن تفاسيرهم، وهو الذي أُطلق عليه اسم الإسرائيليات.[2] وبين كثيراً من تلك الإسرائيليات مما لا ينسجم مع مدلولات اللغة العربية، ولا مع اتجاه القرآن في سياق قصص الأنبياء، بل كثير منها مما يعارض الأحاديث الصحيحة في التفسير.[3] ثم ذكر أبرز

الذين ساهَمُوا في إدخال ذلك التراث الـــمُحرِّف والـــمُشَوَّه عن الأنبياء ضمن كتب الحديث والتفسير، وذكر منهم مُقاتِل بن سليمان (150هـــ/772م) ومحمد بن مروان السُّدِّي (186هـــ/802م)، ومحمد بن السائب الكَلْبي (146هـــ/763م)، ووَهْبَ بن مُنبِّه (114هـــ/732م)، وكعبَ الأحبار (32هـــ/652م)، وأن من أخطرهم هذا الأخير، الذي أدرك زمن النبي ﷺ، ولكنه لم يدخل الإسلام إلا في عهد عمر بن الخطاب،[4] وكيف كان مُشتَبَهًا به في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نظرًا لعلاقته المشبوهة بأبي لؤلؤة المجوسي والهرمزان الفارسي.[5]

ثم تحدث الدكتور الخياط عن بدء دخول الإسرائيليات، وأن ذلك كان لما خرج التفسير عن طابع المأثور، فتسربت من وقتئذ الإسرائيليات إلى كتب التفسير، وضرب لذلك مثالًا تفسير النيسابوري وتفسير الثعلبي.[6] ويرى الدكتور الخياط أنه لا بد لنا من أن نتعرض للبحث عن الأخبار الإسرائيلية المسكوت عنها عن الأنبياء، يعني النوع الثالث الذي ذكره ابن كثير، وهو ما لم تثبت صحته، ولا كذبه، فلا نؤمن به ولا نكذبه.[7] فكان الشيخ الخياط يذهب إلى أن هذا النوع يجب أن نتعرض له لأنه مما يتخذه اليهود في أيامنا ذريعة، وبنوا عليه عقيدتهم الزائفة وروَّجوا لها، لا سيما ما يتعلق بزعمهم المفترى بالقدس و"الهيكل" واستغلال إيمان المسلمين بأنبياء بني إسرائيل في تمرير خزعبلاتهم وما يشوهون به حياتهم.[8] كقولهم في إبراهيم عليه السلام أنه كان يهوديًا، ونفيهم أبوته لإسماعيل عليه السلام، وأن هذا من أكاذيبهم التي تنافي القرآن بل وتنافي التوراة نفسها. وأن اليهود يزعمون كذلك أن أهل ميراث إبراهيم في القدس والأرض المقدسة.[9]

* مناقشة الشيخ الخياط بشأن رَدِّه الحديثَ الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يَكذِب إبراهيمُ النبي عليه السلام قَطُّ إلا ثلاث كِذْبات، ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيم﴾ الصافات:89، وقوله: ﴿بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا﴾ الأنبياء:63، وواحدة في شأن سارة..." وذكر الحديث.[10] وفي حديث آخر متفق عليه أيضًا عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في حديث الشفاعة، يقول: "فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله، وخليله، من أهل الأرض، اشفَع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبلَه مثلَه، ولن يغضب بعده مثلَه، وإني قد كنت كذبتُ ثلاث كذبات.. نفسي نفسي نفسي.."[11] فقد رَدَّ الشيخُ الخياط ما ورد في الحديثين، وعَدَّه من الإسرائيليات، مع أن الحديثين مما اتفق عليه صاحبا الصحيح؛ البخاريُّ ومسلمٌ، وإنما رَدَّ الخياط ما ورد فيهما لما يشتملان عليه –باديَ الرأي– من اتِّهام لإبراهيم عليه السلام بأنه يَكذِبُ، مع ثبوت العصمة للأنبياء، مع ما حكاه

الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام من دعائه: ﴿وَٱجعَل لِّي لِسَانَ صِدق فِي ٱلأخِرِينَ﴾ الشعراء:84، فكيف يكون إبراهيم كَذّابًا!

لكن لم يُصِب الشيخ الخياط في رَدِّه لهذا الحديث، لكون الشيخ الخياط حمل الكذب على ظاهره، وغَفَل عن أنّ هذا الحديثَ مما اتفق عليه الشيخان، وما اتفقا عليه يكون في أعلى درجات الصحة عند العلماء ونقاد الحديث، وعلى فرض وجود إشكال ظاهريٍّ في متنه، فلا بد حينئذٍ من النظر فيما قاله العلماء في توجيهه بما يزيل الإشكال واللبس. وأحسَنُ ما قيل في توجيهه: أن إبراهيم عليه السلام قال قولًا يُشبِه الكَذِبَ في الظاهر، وليس هو بكَذِب، بل إنه صِدْقٌ في الحقيقة،[12] ويُطلَق على هذا النوع اسم "الـــمَعاريض" أو "التورية"؛ وصحَّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "إن في المعاريض ما يَكُفُّ -أو يُعِفُّ- الرجُلَ عن الكَذِب".[13] وقد بَيّنَ معناه ابن القيم بقوله: "أن يقصد المتكلِّم معنًى مطابقًا صحيحًا، ويقصدَ مع ذلك التَّعمية على المخاطَب، وإفهامه خلافَ ما قَصدَه، فهو صِدقٌ بالنسبة إلى قَصده، كَذِبٌ بالنسبة إلى إفهامه".[14] أقول: فتبين بذلك أن نسبة الكذب لإبراهيم عليه السلام ليس على حقيقته، وإنما أريد به الكَذِبُ بالنسبة إلى إفهام المخاطَب، و لم يُرَدِ الكَذِبُ بالنسبة إلى قَصدِ إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر الشيخ الخياط أن من كذبِ اليهودِ أيضاً على أنبيائهم: دعواهم أن يوسف عليه السلام همَّ بالمرأة حتى قعد منها مَقعَد الرجُل من امرأته، وتفسيرهم برهان ربه الوارد في الآية بأنه رأى وجهَ أبيه عاضّاً على إصبعه بفمه، وأنه ضرب بصدر يوسف عليه السلام يؤنِّبه على فَعلَته تلك، وأن يوسف عليه السلام قد نُودي وهو في تلك الحال بأنك يا يوسف مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء؟! فبين الخياط أن هذا كله مما لا ينسجم مع التفسير الصحيح، ولا مع عصمة الأنبياء. وأن سياق آيات سورة يوسف[15] يدل على أن كل ما حصل مع يوسف ما هو إلا كيد من كيد النساء، واعتراف امرأة العزيز بأنه استعصم، ثم اعترافها بأنه بريء من كل ما نسبته إليه، لما اتضحت الأمور وحصحص الحق، كل ذلك مما يبرئ ساحة نبي الله يوسف عليه السلام، ويكذب مزاعم يهود فيما نسبوه إليه.[16]

وكذِبُ اليهودِ كذلك على نبي الله داود عليه السلام وروايتهم قصة نظَرِه إلى امرأة جميلة عاريةٍ، قد أعجبته، حتى أرسل زوجها [أوريا] قائدَ جيشه إلى الحرب ليموت، ويأخذ منه امرأته، وأنها حملت من داود عليه السلام سفاحًا، وأنها ولدت له سليمان النبي!! وما حِيك حول تلك القصة من حكايات كاذبة وافتراءات.[17] وكذبهم كذلك على سليمان نبي الله عليه السلام وأنه بنى هيكلاً على جبل موريا بالقدس، وأن ذلك الهيكل كان مُرصَّعًا بالذهب والفضة والزَّبَرْجَد، وقد استوفى الشيخ الخياط بعد ذلك

الكلام على إبطال زعمهم الكاذب هذا، وأنه لا صحة لوجود لمملكة سليمان عليه السلام في القدس أصلاً، بدلائل النصوص القرآنية وإشاراتها اللطيفة، ولا صحة لبناء الهيكل؛ لا في مكان المسجد الأقصى، ولا في القدس كلها، ونقل عن المؤرخ البريطاني ويلز قوله متهكمًا على هذه الدعاية الأسطورية الكاذبة: "إن هيكل سليمان إذا أمعنّا النظر في مقاييسه يمكن إدخاله في كنيسة صغيرة لبلد صغير".[18]

وهاهنا قضية يَتذَرَّعُ بها كثير من اليهود لتصحيح قضية بناء الهيكل، وهو ما ورد من كون سليمان قد بنى المسجد الأقصى، وهذا أمر قد ورد النص عليه في حديث صحيح، وأنه إذا ثبت أن سليمان بنى المسجد الأقصى، فلا يبعد وجود "الهيكل" في ذلك المكان بعينه، لكن سيأتي تأويل ذلك الحديث بما يتفق مع حديث آخر صحيح كذلك يفيد وجود المسجد الأقصى قبل عهد سليمان بقرون، وبيان العلماء لتوجيه الحديثين بما يدحض هذه الشبهة والدعوى الباطلة!

وذكر الشيخ الخياط كذلك من جملة أكاذيبهم على سليمان عليه السلام أنه فاتته صلاة العصر بسبب انشغاله بالخيول وكان مهتمًّا جداً بها، وأنه غضب بسبب ذلك حتى قطع أعناقها وسُوقَها،[19] وبين الخَيّاط أن هذا من أسوأ ما فُسرت به الآية الكريمة: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ ص:30-33. وأن الصحيح في تفسيرها أن المسح في الآية على حقيقته، كما نُقِل عن ابن عباس رضي الله عنه،[20] وأنه ما كان لنبي من أنبياء الله أن يُقدم على إهلاك مال من أنفس الأموال بغير سبب!![21] وأن من جملة كذبهم على سليمان عليه السلام أيضاً ما يذكرونه في تفسيرهم الفاسد للآية: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ ص:34-35؛ أن الشيطان صاحب البحر تمثل في صورة سليمان عليه السلام حتى استطاع أن يأخذ خاتم سليمان الذي كان مُلكُ سليمانَ فيه -على زَعمهم- ويجلس الشيطان على كرسيه، وتأتيه الطير والجن والإنس، وخدعوا به جميعاً، حتى أنكروا سليمان وصاروا يحثون عليه التراب كلما مر بهم ويسبُّونه، وصار بشرٌ حالة، وأنه بقي بتلك الحالة أربعين يومًا، إلى آخر القصة وما تشتمل عليه من منكرات باطلة أن الشيطان كان يأتي نساء سليمان، حتى كشفه آصف وغيره من عظماء بني إسرائيل.[22]

وقد بين الشيخ الخياط أن مثل هذا لا يتناسب مع جلالة الأنبياء ولا مع خصائصهم، وأنه كيف يُمكّن الشيطانُ من أن يتمثل بصورة سليمان عليه السلام الذي اصطفاه الله نبيًا؟! بل كيف يؤذن له أن يعتدي على نساء سليمان بالزنى، ولا يُمنَع من ذلك؟![23] إضافة لما اشتملت عليه تلك الرواية الفاسدة الكاذبة الخاطئة من إذلال سليمان نبي الله الكريم عليه السلام، حتى طمع فيه الصبيان والولدان ورشقوه

بالحجارة. ونقل الشيخ الخياط عن أبي حيان قوله: "هذه المقالة من وضع اليهود والزنادقة.. ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها.. وظاهر في أن ذلك من أخبار كعب الأحبار، ومعلوم أن كعبًا يروي عن كتب اليهود وهي لا يوثق بها".[24] وبين الشيخ الخياط أن التفسير الصحيح للآية: أن سليمان عليه السلام ابتلي بمرض شديد نحل بسببه وضعف، حتى أصبح لشدة المرض كأنه جسد مُلقًى على الكرسي لفرط هزاله.[25]

وفسره الألوسي[26] بالحديث الصحيح أن سليمان عليه السلام قال: "لأطوفن الليلة على أربعين امراة -أي من زوجاته وسراريه- تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، و لم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشِقِّ رجُل". يقول النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فرسانًا كلهم أجمعون". قال الألوسي: "فالمراد بالجسد ذلك الشق الذي وُلِد له، ومعنى إلقائه على كرسيه: وضع القابلة له عليه ليراه".[27]

المبحث الثاني: الأساليب المنهجية عند الدكتور الخياط في الرد على المزاعم اليهودية الصهيونية

وهذا هو بيت القصيد من هذا البحث، حيث اجتهد الدكتور الخياط فيه في الرد وتفنيد مزاعم اليهود فيما يدعونه من أحقيتهم بالقدس والمسجد الأقصى. وتتمثل تلك الأساليب بما يلي:

أولا: أسلوب الرد على مزاعم اليهود بالدلائل النقلية من القرآن والحديث

وقد استعمل الخياط هذا الأسلوب في ردِّه على ادعاءاتهم بكل ما يتعلق بموسى وهارون عليهما السلام في بيت المقدس وما حوله، بأن الآية القرآنية دلت على أن الله حينما أمرهم بدخول الأرض المقدسة مع موسى وهارون عليهما السلام وأَبوا الامتثال، بأن الله عاقب اليهود بالتِّيْه في صحراء سيناء أربعين سنة، لا يدخلون الأرض المقدسة، وأن لا ذكر لموسى وهارون عليهما السلام لدى دخول بني إسرائيل بعد التيه إلى الأرض المقدسة، بما يدل على أن موسى وهارون عليهما السلام قد ماتا في التيه في صحراء سيناء، ويؤيده الروايات التاريخية الموثوقة عند المسلمين في هذا الصدد.[28]

1. الرد على اليهود في كون مملكة سليمان كانت ببيت المقدس:

ومما ردَّه وفنَّده الشيخ الخياط من مزاعم اليهود كذلك ما يدعونه من أدلة على أن مملكة سليمان عليه السلام كانت ببيت المقدس.[29] فقد بين الخياط بالدلائل القرآنية أن مملكة سليمان عليه السلام كانت على مقربة من اليمن، فاستشهد لذلك بعدد من الآيات، منها:

أ. قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف: 138. ونقل الخياط عن المفسرين قولهم: إن هؤلاء القوم هم بنو لَخْمٍ، وهم من قبائل اليمن، قبل أن يهاجروا إلى شَمال الجزيرة العربية.[30]

ب. قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ الأنبياء:81. فقد بين الخياط في بيان دلالتها: حرف "إلى" في اللغة دال على انتهاء الغاية؛ وفي هذا إشارة إلى أن سليمان عليه السلام لم يكن يَسكُن بيت المقدس، وإنما كان يجيئها زيارةً.[31]

ج. قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ النمل:17-21. ذكر الخياط في بيان دلالة الآية: أنه لا يعرف بفلسطين مكان اسمه وادي النمل، بل هو مكان في مخلاف خَولانَ في اليمن، ثم في قوله سبحانه في حق الهدهد بأنه مكث غير بعيد، ما يؤكد على قرب المسافة بين مملكة سليمان عليه السلام وبين مملكة سبأ التي جاء الهدهد سليمان بخبرها. ومما يؤكد على صحة ذلك قوله تعالى في آية أخرى تدل على بعد المسافة بين بيت المقدس واليمن، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ سبأ:18. ونقل الخياط عن المفسرين أن المراد بين سبأ وبين الأرض المباركة القدس وما حولها من القرى، كانت مسافة المسير أربعة أشهر، فكيف يقطع الهدهد كل هذه المسافة من اليمن على بيت المقدس؟![32]

د. قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ سبأ:12-13. قال الخياط: أين عين القطر (أي النحاس) والمحاريب والتماثيل والجفان الكبار والقدور الراسيات؟! فلم يطلع عليها علماء الآثار اليهود مع كثرة حفرياتهم وحرصهم الشديد على أي إثبات أي شيء من هذا القَبيل.[33]

ورد عليهم الخياط أيضًا في صدد *إثبات أولية تاريخ القدس والمسجد الأقصى*، بالحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه؛ أنه قال: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض؟ قال: "المسجد الحرام"، قلت: ثم أيّ؟ قال: "المسجد الأقصى" قلت: وكم بينهما؟ قال: "أربعون عامًا".[34] فقد استدلَّ به الدكتور عبد العزيز الخَيّاط على أن تاريخ بيت المقدس والمسجد الأقصى مُرتَبِط بتاريخ آدم وبدء سلالته على الأرض، وأن المسجدين من بناء آدم، وأن تعيين المكان كان من الله تعالى لملائكته. كما نبَّه على ذلك بعض مَن يُعتَمَد عليه من علماء المسلمين، كابن هشام

وأبي عثمان الـــمِكنَاسِيّ وبدر الدين الزركشي. وهذا دليل على أن بيت المقدس والمسجد الأقصى سابقين على وجود اليهود أصلًا!![35]

وهذا الحديث المذكور قد ورد في حديث آخر صحيح ما يعارضه، ويُفهَم من ظاهره تأخُّر بناء المسجد الأقصى إلى عهد سليمان عليه السلام، وهو فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خِلالًا ثلاثة: سأل الله عَزّ وجل حُكمًا يُصادِفُ حُكمَه، فأُوتيَه، وسأل اللهَ عزّ وجَلّ مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأُوتيَه، وسأل اللهَ عزّ وجَلّ حين فَرغ من بناء المسجد أن لا يأتيَه أحدٌ لا يَنهَزُهُ إلا الصلاةُ فيه أن يُخرِجَه مِن خَطيئتِه كيَومَ ولَدَتْهُ أمُّه".[36] والجواب عن ذلك: أن الآية التي في سورة البقرة قد نصت على أن إبراهيم عليه السلام قد رَفَع هو وإسماعيلُ قواعدَ البيت الحرام، فهذا يدل على وجود قواعد وأُسُسٍ سابقة للمسجد الحرام، بمعنى أنه تقدَّم بناؤه في الزمن على زمن إبراهيم عليه السلام، فكيف يكون سليمان عليه السلام قد أسَّسَ بناء المسجد الأقصى الذي نَصَّ النبي عليه الصلاة والسلام على أن بين بنائه وبين بناء المسجد الحرام أربعين سنة فقط، وإنما جاء سليمان عليه السلام بعد إبراهيم عليه السلام بزمنٍ طويلٍ؟!

فكما قيل في شأن رفع إبراهيم وإسماعيل لقواعد البيت الحرام، فالأمر ذاته منطبق على سليمان عليه السلام في بنائه للمسجد الأقصى، وأنه كان تجديدًا لا تأسيسًا، وقد نَبَّه العلماء أن هذا البناء إنما كان بناء تجديد لا بناء تأسيس، جمعًا بين الحديثين، قال القرطبي: "إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بَنَيا المسجدَين ابتدآ وضعَهُما لهما، بل ذلك تجديدٌ لما كان أسَّسَه غيرُهما"،[37] ونحوه ما قاله الخطابي.[38]

وها هنا أمر غاية في الأهمية: وهو أن الدكتور الخياط إذ ينفي وجود مملكة سليمان عليه السلام ببيت المقدس، فإنه لا ينفي وجود سليمان في تلك المنطقة بالكلية، لأن الآية الكريمة في سورة الأنبياء التي قدمنا ذكرها قريبًا نصٌّ في إثبات نقل الريح لسليمان عليه السلام إلى الأرض المباركة، هذا من جهة، ولأن قضية وجود مملكة سليمان ببيت المقدس شيءٌ، وإثبات تجديد سليمان للمسجد الأقصى شيءٌ آخر مختلف من جهة أخرى؛ فليس بالضرورة وجود مملكته في مكان المسجد الذي جدد بناءه.

2. مناقشة الخياط في رَدِّه الأحاديث بأن النبي ﷺ رأى قبر موسى عليه السلام عند الكثيب الأحمر:

أطلق الشيخ الخياط القول بأن الأحاديث التي جاء فيها بأن موسى عليه السلام مدفون عند الكثيب الأحمر، كلها موضوعة غير صحيحة؟![39] والجواب عن ذلك: أن هذا الحديث يرويه أبو هريرة وأنس[40] رضي الله عنهما، بأسانيد متعددة، كل منها صحيح، وحديث أبي هريرة متفق عليه، أخرجه الشيخان؛[41]

فالحكم على هذا الحديث بالوضع مجازفة عظيمة. ثم إن في سياق رواية صاحبي الصحيح ما يشير إلى أن الرواية التي لدينا تختلف عن رواية الإسرائيليات، ففي رواية الصحيحين: أن موسى عليه السلام عندما اختار الموت: "سألَ اللهَ أن يُدنِيَه من الأرض المقدَّسة رميةً بحجر، فقال رسول الله ﷺ: فلو كنتُ ثمّ، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر". وفي هذا دليل على أن موسى عليه السلام لم يكن في بيت المقدس و لم يدخل الأرض المقدسة كما تشير إليه روايات اليهود، ولكن الله استجاب دعاء موسى عليه السلام عند موته في التيه بأن دفن بالقرب من الأرض المقدَّسة.

ثانيا: الرد على مزاعم اليهود بالواقع التاريخي الثابت

وقد بين الدكتور الخياط من خلال هذا الأسلوب بأن زعمهم بأن ساحة الأقصى قد بني فيها معابد وهياكل لهم، زعم باطل؛ إذ إن المعروف أن أول مسجد بني على ساحة الأقصى هو الذي بناه عمر بن الخطاب سنة 15 هجري، بعد خرابه الأول بعد آدم عليه السلام. ثم بنيت قبة الصخرة والجامع الأقصى وأسوار الساحات الشرقية والجنوبية والقبلية في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وتعهد بالبناء يزيد بن سلام المقدسي، وأشرف عليه التابعي الجليل الفقيه رجاء بن حيوة.[42]

وذكر من مزاعم يهود في هذا الصدد تسميتهم الأشياء بغير أسمائها حتى انخدع المسلمون بذلك، فيقولون: هذه قبة راحيل، وهذا بئر يوسف، وتلك إسطبلات سليمان الحكيم،[43] وهذا قبر داود، وقريب من القدس قبر موسى عليه السلام، مع أن موسى لم يدخل القدس بل مات في التيه.[44] ويقولون: هذا هيكل سليمان! حتى راج على كثير من المؤرخين المتأخرين كالنويري في نهاية الأرب، وابن تميم المقدسي في مثير الغرام إلى زيارة بلاد القدس والشام، ومجير الدين الحنبلي في الأنس الجليل، وغير ذلك من الكتب المتأخرة التي كتبت في تاريخ بيت المقدس. وبين الدكتور الخياط أن كل ذلك مبني على روايات إسرائيلية عن كعب ووهب بن منبه والكلبي ونظرائهم ممن لا يوثق بهم.[45]

ورد عليهم الدكتور الخياط كذلك في زعمهم بأن الحائط الغربي للمسجد الأقصى[46] هو من بناء سليمان عليه السلام، بأن المعلومات التاريخية والأثرية تثبت أنه بني أيام اليبوسيين العرب،[47] حين بنوا القدس، قبل أن يكون هناك يهود على الأرض، ثم توسع في عهود مختلفة، ثم جدد في عهد الآشوريين والفرس والإسكندر المقدوني، إلى أن جُدد أخيرًا في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني.[48] واستعمل الخياط هذا الأسلوب أيضًا في تفنيد ما يزعمه اليهود أن بعض اليهود الذين دخلوا بإذن متصرف القدس العثماني جاؤوا بصورة باحثين غربيين ومهتمين، فدخلوا التسوية الشرقية للمسجد (إسطبلات سليمان) وزعموا أنهم وجدوا فيه ثلاثة ألواح من ألواح موسى، فرد عليهم الخياط بأن الثابت أن موسى لم يدخل الأرض المقدسة بل مات في التيه، وأنه إن كان ما يزعمونه حقًا لوُجِد ذلك في بعض المتاحف العالمية،

ولكانت وثيقة تفاخر بها اليهود أبدًا.[49] وبذلك رد الدكتور الخياط على اليهود في زعمهم بشأن برج داود، حيث نُسبَ للنبي داود عليه السلام، وتمسك بذلك اليهود، فبين الخياط أن ذلك من الكذب العاري عن الصحة، وإنما هو نسبة للملك الناصر داود الأيوبي، كما دل على ذلك ما جاء في نقشين حجريين؛ عَثَر عليهما الباحثُ الأثري جونز سنة 1938م، الذي كان مديرًا للآثار الإسلامية أيام الانتداب البريطاني.[50]

وهكذا الحال في شأن الزعم بأن قبة يوسف وقبة موسى ومحراب داود، نسبة إلى الأنبياء يوسف وموسى وداود عليهم السلام، فبين الخياط أن هذا زعم كاذب لا أساس له من الصحة، وإنما الأولى نسبة لصلاح الدين الأيوبي الذي كان اسمه يوسف بن أيوب، والثانية نسبة إلى الملك الأشرف موسى آخر ملوك الأيوبيين، والمحراب نسب لوجود الآية المكتوبة التي تتحدث عن داود عليه السلام ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ص:21. إلى غير ذلك من الردود المتعلقة بالواقع التاريخي الصحيح.[51]

ثالثا: الرد عليهم من خلال العهدة العمرية[52]

وهو الوثيقة التي كتبها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لدى تسلُّمه بيت المقدس من البطريرك صفرونيوس، الذي كان من أصل عربي، فيما قال الشيخ الخياط، ومعلوم أنه جاء في جملة نصوصها قول عمر: "ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود".[53] وفي هذا النص من الدلالة على أن عمر رضي الله عنه كان على اطلاع بنية اليهود الخبيثة بالتسلُّط على بيت المقدس، ويؤيده أن كعب الأحبار حاول أن يخفي عن أمير المؤمنين مكان الصخرة؛ فمن هاهنا جاء في النص ذكر استبعاد اليهود عن هذا المكان.[54] أقول: ثم لو كان لليهود في بيت المقدس أدنى حَقٍّ، لما منعهم منه عمر العادلُ الذي كان مَضرِب المثل في عدله رضي الله عنه.

رابعا: الردُّ على مزاعم اليهود من خلال التفتيش في المعالم الأثرية وقراءة ما خُطَّ عليها

وقد فعل ذلك الخياط لدى كونه وزيراً للأوقاف في الأردن التي كان لها حق الوصاية الدينية على المسجد الأقصى، حيث قام بتكليف مَن يثق به من أهل الخبرة والمعرفة بالآثار وتاريخها، بمعاينة المكان والبحث في آثاره التي تثبت ضدَّ ما يزعمونه، كما فعل في شأن نَفَقِ القدس، إذ قام بتكليف رجلين، وهما: مفتي القدس سعد الدين العَلَمِيّ، والمدير العام لأوقاف القدس هاشم عَشَايِر، بالعمل على دخول نفق القدس الذي زعم اليهود أنه يعود إليهم، وقد استطاعا التيقُّن من كونه من الآثار اليبوسية العربية قبل أن يكون هناك يهود على الأرض.[55] وبهذا الأسلوب أيضًا فَنّد الدكتور الخياط مزاعم اليهود في شأن باب الأسباط ومئذنة إسرائيل، أن هذه التسمية مدخولة وخاطئة، والصحيح أن باب الأسباط إنما بني في العهد البيزنطي

كما دلت الآثار على ذلك، وكذلك تسمية المئذنة بالمئذنة الصلاحية لأنها قريبة من المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي، وبناها سيف الدين قطلوبغا في العهد المملوكي، ومما يؤكد صحة ذلك أن طراز بنائها طراز مملوكي.[56]

خامسا: الردُّ على كذِب اليهود من خلال التوراة نفسِها

إن من أقوى الأدلة الصارخة التي يُرَد فيها على اليهود هو الاحتجاج عليهم من خلال ما يؤمنون به ويثقون به من مصادرهم الوثائقية، ولا شك أن التوراة عندهم هي العمدة الأولى من مصادرهم، وقد ثبت أنهم قاموا بتحريفها وتشويه ما فيها من معلومات، لكن لا شك أنه بقي في التوراة ما غَفَلوا عن التلاعب والعبث به، أو ما غفلوا عن إدراجه فيها وتلفيقه. وقد رد الشيخ الخياط على اليهود من خلال التوراة في دحض زعم اليهود، ولا سيما كعب الأحبار الذي ذَكَر أنه وَجَدَ محراب داود في القدس فصلى فيه، حيث نسب كعب وجود المحراب للتوراة، فبين الشيخ الخياط أن ذلك غير موجود في التوراة المعروفة.[57] وقد قدمتُ كذلك احتجاج الشيخ الخياط بالتوراة في الرد على نفي اليهود أبوة إبراهيم لإسماعيل، سعيًا منهم لإثبات يهودية إبراهيم من جهة، ولقطع صلة القربى بين إبراهيم وبين النبي محمد ﷺ الذي ثبت بالنصوص القاطعة أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم من جهة أخرى.[58]

سادسا: الرد على مزاعم اليهود بالرجوع إلى الاصطلاح العرفي التاريخي الصحيح لتصحيح المسمى أو النسبة:

ومن أكاذيب اليهود التي يحيكونها في سبيل إثبات وجود "الهيكل"، ادعاؤهم أن ما أُطلِق عليه اسم "إسطَبْلات سليمان" أن المقصود به سليمان النبي عليه السلام، حتى بَيّنت عالمة الآثار البريطانية كاثلين كينيون كذبهم بعد التنقيب في الحفريات هناك، إذ "اكتشفت أن ما يسميه الصهاينة مبنى إسطبلات سليمان ليس له علاقة بنبي الله سليمان عليه السلام، ولا إسطبلات أصلًا، بل هو نموذج معماري لقصر شائع البناء في عدة مناطق بفلسطين".[59] وقد ذهب الدكتور الخياط في رده على هذا الزعم الكاذب إلى أن المقصود بسليمانَ ليس هو سليمان النبي عليه السلام، وإنما هو سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي الذي بُويع له بالخلافة ببيت المقدس، ثم لم يكتف الخياط بذلك، بل ذكر من القرائن الدالة على صحة ذلك، ومنها: أن الموضع الذي بويع فيه سمي بقبة سليمان قرب باب الأسباط، ووضع له هناك كرسي سُمّي بكرسيّ سليمان، وأُنشئ هناك سَبيل لشُربِ الماء سُمّي باسمه أيضًا، وأنه وضع خَيلَه بتلك الاسطبلات فسُمِّيت باسمه، وأن الصليبيين لما أخذوا بيت المقدس ظنّوا أنها من بناء سليمان الحكيم، واستغلَّ اليهود هذا الظن لصالحهم.[60] وهذه في الأصل هي التسوية الشرقية للمسجد الأقصى وهي ما

عرفت فيما بعد باسم "المصلى المرواني" نسبة لآل مروان بن الحكم الأمويين، وقام المسلمون باستطلاحها واتخاذها مسجدًا.[61]

سابعا: الرد على مزاعم اليهود بتناقض أقوال حاخاماتهم وكبرائهم وعلماء الآثار منهم

إن من أبرز طرق الرد والتفنيد التي تلجم الخصم هو: إبراز التناقض بين أقوال أهل الدعوى الباطلة، والزيف الفاسد، إذ لو كانت دعواهم صحيحة لما تناقضت أقوالهم فيها. وقد استعمل الشيخ الخياط ذلك في الرد عليهم في زعمهم بوجود "الهيكل؛ هيكل سليمان"، فبين أنهم اختلفوا في مكانه؛ فبعضهم يقول: هو تحت قبة الصخرة، وبعضهم يزعم أنه تحت الجامع الأقصى، وبعضهم يزعم أنه عند المغارة بجانب الحائط الغربي، إلى غير ذلك من المواضع المخترعة الموهومة، بل إن أحد علماء الآثار اليهود واسمه مئير دوف يقول: "لا صحة لما يقال: إن بقايا الهيكل موجود أسفل الحرم المقدسي".[62] وفي ذلك الاختلاف المتباين بينهم أدل الدليل على كذبهم وافترائهم.[63] ويقول عالم الآثار اليهودي زائيف هرتزوج في جامعة تل أبيب الذي شارك في كل أعمال الحفر في فلسطين: "إن كل الأحداث المزورة في التوراة تتناقض تماماً مع ما توصل إليه علماء الآثار".[64]

ثامنا: الرد على مزاعم اليهود من خلال تقريرات علماء وباحثين وكُتّاب غربيين

وهذا أسلوب جدير بالعناية والاهتمام، وذلك لأن كلام الخصم قد يدخل فيه شبهة التحامل أو التأثر بتوجهٍ معين، أو نحو ذلك، لكن عندما يأتي التقرير والشهادة على ما يوافق كلام أحد الخصمين من طرفٍ خارجيٍّ لا علاقة له بطَرَفَي النزاع في المسألة التي هي موضع النزاع، يكون لذلك التقرير وتلك الشهادة وَقْعٌ خاص، وقُوّةٌ مؤثرة. وقد استعمل ذلك الدكتور الخياط، حين استشهد بقول الكاتب والمؤرخ الفرنسي أرنيست رينان أنه وجد كتاب اليهود المقدس (التوراة) مشحونة بالأخطاء.[65] والسبب في ذلك كما يقول عالم الآثار فوكسيويل أولبرايت، وهو مِن مدرسة انتقاد التوراة وتاريخها المُشوَّه: "إن التاريخ التوراتي اختُلِق في عهد شَتَات بابل".[66]

وفي معرض الرد على قصة الهيكل المزعومة ينقل الخياط عن رئيس جامعة أدنبرة ببريطانيا ماجنوس ماجنوسون بعد قراءته لوصف "الهيكل"، أنه قال: "وصف التوراة للهيكل هو على الأغلب وصف خيالي أكثر من كونه وصفًا واقعيًا".[67] ونقل كذلك عن عالمة الآثار البريطانية كاثيلين م. كينيون، أنها ذكرت أن "موقع الهيكل لا توجد فيه أية أدلة أو براهين".[68] ونقل الشيخ الخياط كذلك عن عالم الآثار فوكسويل أولبرايت أن "الحَفْريات التي أجريت في المواقع التوراتية الهامة: مجيدو ولخيش غيزر، ونابلس وأريحا والقدس وغيرها، لم تُثبِت أي أثر لليهود". ويقول أيضاً: "لازلت أعتقد مؤكّدًا أن داود عليه السلام ومن قبله شاؤول لم يُنشئا دولة في فلسطين؛ فالآثار التي حدّث عنها الآثريون لا تعني وجود دولة

إسرائيلية في القدس".[69] وبهذا رد الدكتور الخياط على اليهود في زعمهم بأن سليمان هو الذي بنى إسطبلات سليمان، مع أن تلك التسوية –كما قدمتُ– قد بُنيت في العصر الأموي، فرد عليهم الخياط بأن البحث الأثري الذي قام به السير تشارلز وارن سنة 1872، والأب شيك وباركر سنة 1909 لم يثبت وجود آثار يهودية فيها.[70]

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث يمكننا تلخيص أهم ما ورد فيها من نتائج، وهي متمثلة فيما يلي:

1. إن اليهود الصهاينة يتبعون دائمًا المنهج الميكافيلي المصلحي القائم على أساس أن الغاية تبرر الوسيلة، ولهذا نجدهم لا يبرحون يستعملون ذلك المنهج في سائر شؤونهم، ومن أبرزها زعمهم الكاذب بالأحقية التاريخية ببيت المقدس، وأنهم أصحاب الحق التاريخي وأصحاب السيادة الكاملة عليه.
2. وقد استغل اليهود كثيرًا مما تَسرّب إلى بعض مصادرنا التاريخية والتفسيرية من الروايات الإسرائيلية المتعلقة بالقصص والحكايات الخاصة بأنبياء بني إسرائيل، فاستعملوها في مزاعمهم، وكان اختيار الدكتور الخياط هو محاربة تلك الإسرائيليات في الجملة، حتى نَسُدَّ عليهم بابَ تلك المزاعم من جهة، وحتى لا ينخدع بها العوام الغافلون من المسلمين الذين يرددن تلك القصص والحكايات على ألسنتهم من جهة أخرى بغير قصد.
3. وفي سبيل الرد التفصيلي كان لا بد من مقارعة الدعاوي بالحجج والبراهين النقلية والعقلية والمنطقية، فكان من أبرز ما استعمله الخياط في الرد على مزاعم يهود: هو الأسلوب النقلي، من خلال إيراد الآيات القرآنية الدالة بسياقاتها البيانية، وما يحيط بها من القرائن العقلية والمنطقية، ثم بذكر الحديث الصحيح في أولية المسجد الأقصى وأنه وجوده سابق على وجود اليهود في الدنيا.
4. ثم التحول كذلك إلى أسلوب الاحتجاج بالواقع التاريخي والأثري، وهما من أقوى الحجج الواقعية كما هو معلوم لدى أهل المعرفة.
5. ولما كان من أقوى أساليب الرد على المزاعم في إسكات الخصم وإلجامه هو الاحتجاج عليه بما يؤمن به مما يدعيه من الوثائق المعرفية، كان لا بد من النظر في التوراة التي هي المصدر الأول لدى يهود، ثم بذكر تقريرات بعض علمائهم وكبرائهم المخالفة لما ورد في التوراة، بما يدل على عدم صحة المعلومات التي يدعونها.
6. ولما كان التناقض والتباين في تقرير أمرٍ ما من أدل الدلائل على كذب المزاعم أو عدم دقتها في أقل أحوالها، فإن استعمال ذلك الأسلوب كان مهمًا؛ وذلك من خلال ضرب أقوال بعض حاخاماتهم ببعض في الشك في إثبات شيء ما أو نفيه، أو الشك في محل مكان تاريخي والتباين في

تلك الأقوال تباينًا بعيدًا، بحيث لا يمكن الجمع بين أقوالهم، بحيث يعلم القارئ المنصف أن تلك المزاعم كذب لا محالة، ولهذا استعمال الخياط ذلك الأسلوب في جملة الأساليب.

الهوامش

[1] موسوعة الجزيرة، 2016، عبد العزيز الخياط.. مسيرة معطاءة لمعلم ووزير للأوقاف، https://aja.me/6pulog

[2] محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ***الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير***، د. م، مكتبة السنة، د.ت، 265 و272.

[3] عبد العزيز الخياط، ***اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس***، ط2 ، د.م، 2002، 15.

[4] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ***تاريخ دمشق***، مح. عمرو بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، 50/151-156.

[5] الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 17-22.

[6] الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 23.

[7] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ***البداية والنهاية***، مح. علي شبري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988، 80/6. والنوع الأول الذي ذكره ابن كثير هو: ما عُلِمت صحتُه مما بين أيدينا مما يشهد له بالصدق، والنوع الثاني: ما علمنا كذبَه مما عندنا مما يخالفه، ويتعارض مع القرآن والسنة الصحيحة ومنطق العقول.

[8] الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 25.

[9] الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 26-27.

[10] محمد بن إسماعيل البخاري، ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه***، عناية. محمد زهير الناصر، الرياض: دار طوق النجاة، 1422، "أحاديث الأنبياء" 3357 و3358؛ مسلم النيسابوري، مسلم بن الحجاج، ***الصحيح***، ترقيم. محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، 1956، "الفضائل" 2371.

[11] البخاري، ***الصحيح***، "تفسير القرآن" 4712؛ مسلم، ***الصحيح***، "الإيمان" 194.

[12] عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ***كشف المشكل عن أحاديث الصحيحين***، مح. علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن، 1997، 3/482.

[13] عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة، ***المصنف***، مح. سعد بن ناصر الشّثْري، الرياض: دار كنوز إشبيليا، 2015، 27776.

[14] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ***مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة***، مح. عبد الرحمن بن حسن بن قائد، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1432، 2/949.

[15] الآيات 23-28 و32 و51-53.

[16] الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 29-31.

[17] الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 31-32.

[18] الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 32.

[19] روي ذلك عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا عند الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخْمِي الشامي، ***المعجم الأوسط***، مح. طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، د.ت، 6997.

[20] الطبري، محمد بن جرير، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، مح. عبد الله بن عبد المحسن التركي مصر: دار هجر، 2001، 20/87.

[21] قال الطبري، جامع البيان: "وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالًا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها!".

[22] ذكر القصة بطولها الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، ***تاريخ الأمم والملوك***، مح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407، 1/293 عن وهب بن مُنبِّه. وروي مثلها عن ابن عباس موقوفًا، عند النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، ***السنن الكبرى***، مح: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001، 10926. وهو من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وروي عن أبي بشر جعفر بن إياس أبي وحشية عن سعيد بن جبير مقطوعًا، بنحوه، عند سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، ***السُّنن – تكملة كتاب التفسير*** – الرياض: دار الألوكة للنشر، 2012، 1839، وهو أصح من رواية المنهال بن عمرو، فقد قال أحمد بن حنبل: "أبو

بشر أحب إلي من المنهال بن عمرو، قال عبد الله بن أحمد لأبيه: أحب إليك من المنهال؟! قال: نعم شديدًا" أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيباني، ***العلل ومعرفة الرجال***، مح. وصي الله بن محمد عباس، ط2، الرياض: دار الخاني، 1422، 943.

23 قال أبو الليث السرقندي: "وقال بعضهم: هذا التفسير الذي قاله هؤلاء الذين ذكروا أنه شيطان لا يصح؛ لأنه لا يجوز من الحكيم أن يسلِّط شيطانًا من الشياطين على أحكام المسلمين، ويجلسه على كرسي نبي من الأنبياء عليهم السلام" أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، *بحر العلوم*، مح. محمود مطرجي، بيروت: دار الفكر، د.ت، 160/3.

24 أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، ***البحر المحيط في التفسير***، مح. صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420، 155/9. وكذلك قال ابن كثير بعد أن ذكر رواية المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: "إسناده إلى ابن عباس قويٌّ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس – إن صَحَّ عنه – من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يَكذِبُون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات؛ مِن أشَدِّها ذكر النساء، فإن المشهور أن ذلك الجني لم يُسلَّط على نساء سليمان، بل عصمهن الله منه تَشريفًا وتكريمًا لنبيه صلى الله عليه وسلم، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلها متلقّاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب". قلت: الظاهر أنه لم يصح عن ابن عباس، لمخالفة أبي بشر للمنهال، كما قدمتُ؛ حيث وقفه أبو بشر على سعيد بن جبير، وأبو بشر أوثق من المنهال. فبرئ ابنُ عباس من عهدة هذه الرواية.

25 قاله أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، نقله عنه أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الماوردي، ***النكت والعيون***، مح. السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، 96/5.

26 شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، مح. علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415، 190/12. وذكره من قبله قولًا من الأقوال في تفسير الآية: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، مح. أبو محمد بن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2002، 207/8.

27 الألوسي، ***روح المعاني***، 190/12.

28 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 60، 67.

29 وممن أكد على تفنيد هذا الزعم كذلك من الباحثين المعاصرين الدكتور فاضل الربيعي، وهو ممن له عناية بدراسات بيت المقدس، والرد على مزاعم اليهود في وجود مملكة سليمان والهيكل بفلسطين، وله في ذلك مصنفات عديدة في هذا الصدد، منها: فلسطين المتخيلة، القدس ليست أورشليم، الشيطان والعرش – رحلة النبي سليمان على اليمن، وغير ذلك. انظر: https://www.aranthropos.com الأنثربولوجي–العراقي–فاضل–الربيعي.

30 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 69.

31 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 69.

32 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 69–70.

33 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 70.

34 البخاري، ***الصحيح***، "أحاديث الأنبياء" 3366؛ مسلم، ***الصحيح***، "المساجد" 520.

35 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 44–45.

36 النسائي، أحمد بن شعيب الخراساني، ***المجتبى***، مح. عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1986، 693.

37 أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ***المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم***، مح. محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، وآخرون، دمشق – بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1996، 115/2.

38 أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطابي، ***أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)***، مح. د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، مكة: جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1988، 1542/3.

39 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 67.

40 أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ***المسند***، مح. شعيب الأرنؤوط وأصحابه، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421، 12504.

41 البخاري، ***الصحيح***، "الجنائز" 1339؛ مسلم، ***الصحيح***، "الفضائل" 2372.

42 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 43.

43 وهو "مبنى واسع مسقوف في الزاوية الشرقية الجنوبية تحت الجانب الشرقي الجنوبي من بناء المسجد الأقصى".

44 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 43.

45 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 43–44.

46 وهو المعروف بحائط البراق؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ربط فيه البراق لدى رحلة الإسراء والمعراج.

47 اليبوسيون (Yebusites; Jebusites): "هم أحد الأقوام الكنعانية السبعة. عاشوا في المناطق المرتفعة المتاخمة للقدس، وهم الذين بنوا هذه المدينة وسمّوها: أورو ــ سالم، أي: مدينة السلام. ويبوس: هو أحد الأسماء القديمة للقدس. ولقد ظل اليبوسيون محتفظين بالمدينة مدة طويلة، بعد أن استوطنتها القبائل العبرانية النازحة من كنعان، فلم تُفتَح إلا في عهد داود". عبد الوهاب المسيري، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية***، القاهرة: دار الشروق، 1999، 105/4.

48 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 49.

49 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 52.

50 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 56.

51 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 54-56.

52 هناك بحث محكم مقدم لمجلة الجامعة الإسلامية بغزة، ضمن سلسلة الدراسات الإسلامية في المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، ص169-203، في يونيو، 2006م، كتبه د. رمضان الزيان، بعنوان: ***روايات العهدة العمرية – دراسة توثيقية***، بين فيه ثبوت العهدة العمرية، وأنها تختلف عما أُطلق عليه في بعض كتب الفقه اسم الشروط العمرية. وهو بحث مفيد في هذا الباب، يحسن الرجوع إليه.

53 الطبري، ***تاريخ الأمم والملوك***، 609/3. وانظر دراسة أسانيد هذه الوثيقة العمرية: عبد السلام بن محسن آل عيسى، ***دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه***، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، 2002، 160/2-1061. حيث بيّن الباحث ثبوت الوثيقة من حيث الصناعة النقدية.

54 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 41-43.

55 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 58-59.

56 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 59.

57 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 45.

58 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 26.

59 عبد الرحيم ريحان، ***هيكل سليمان، آكذوبة لهدم الأقصى***، مقال نُشر في موقع مدينة القدس، الأحد 25، أيلول 2011. http://quds.be/f4e

60 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 51.

61 المصلى المرواني، موسوعة بيت المقدس الإلكترونية، https://isravakfi.org/wiki/index.php/المصلى_المرواني

62 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 49.

63 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 47.

64 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم*** ، 67.

65 نقله عنه الأستاذ بجامعة برنستون الأمريكية B. James Pritchard في كتابه Archaeology & the Old Testament / 93، نقلا عن كتاب ***مدينة القدس المقدسة في التاريخ***، لمؤلفه شكري صالح زكي، سنة 1995م. (من هامش كتاب الخياط ص48).

66 نقله عنه الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 48. و لم يشر إلى مصدره.

67 Magnus Magnusson, The Archaeology of the Bible Lands 148. (من هامش كتاب الدكتور الخياط ص48)

68 Kathileen M. Kenyon, Archaeology *in the Holy Land*, 241. (من هامش كتاب الدكتور الخياط ص48)

69 نقله عنه الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 76. و لم يشر إلى مصدره.

70 الخياط، ***اليهود وخرافاتهم***، 51.